دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	المنهج الوصفى بين الوعى ونمطية الحدث
المصدر:	دراسات
الناشر:	جامعة عمار ثليجي بالأغواط
المؤلف الرئيسي:	جعفور، ربيعة
المجلد/العدد:	ع 19
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	مارس
الصفحات:	144 - 153
رقم MD:	186282
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch, IslamicInfo, HumanIndex, AraBase
مواضيع:	المنهج التجريبى، المنهج الوصفى، البحوث العلمية، البحث العلمى، علم النفس، العلوم الطبيعية، المنهج الكمى، المنهج الاكلينيكى، المنهج الكيفى
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/186282

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المنهج الوصفي بين الوعي ونمطية البحث

ربيعة جعفور
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة ورقلة

الملخص:

يتبع كل باحث قواعد منهجية مقننة لضمان خط السير الحسن في الوصول إلى أهداف بحته، إلا أن الممارسة العملية لخطوات إعداد البحوث على مستوى الطلبة المبتدئين تكشف عن وجود بعض الأخطاء الشائعة لدى فئة عريضة في الاستعمال الأمثل بعض هذه الخطوات، حيث أدى الاهتمام بتنفيذ البحث في حد ذاته، إضافة إلى شيوع النمطية في دراسة المشكلات، عدا عن تعدد وجهات النظر بين طائفة من المشتغلين بحقل البحث الأكاديمي، إلى شيوع بعض مظاهر الخلط بين الطلبة في تتبع خطوات المنهج الوصفي- باعتباره أكثر تداولا وإمكانية للتطبيق- وتتجلى بعض مظاهره على سبيل المثال لا الحصر في إدراج عنصر صياغة الفرضيات والدراسة الاستطلاعية ضمن كل دراسة والهدف من العنصر الأول هو وضع حلول مؤقتة للمشكلة، مع عدم استنادها أحيانًا إلى دراسات سابقة أو إطار نظري واضح، والهدف من العنصر الثاني هو التأكد من صلاحية أدوات الدراسة (صدق وثبات) للتطبيق مع إغفال أو تجاهل الأدوار الحقيقية لكل عنصر ضمن كل مراحل الدراسة والبحث.

لذا نحاول من خلال المقال الحالي الإشارة إلى أسباب ظهور هذه المشكلة وبعض مظاهر الخلط في استخدام خطوات المنهج الوصفي-خاصة- ثم نحاول الإجابة على التساؤل التالي:

هل الأصح أن نقدم للطالب المبتدئ خطوات البحث العلمي بصفة مقننة ضمن كل أساليب المنهج؟

أم نخص كل أسلوب دراسة بخطواته؟ أم أن إمكانية التوفيق بين الطريقتين متوفرة؟

مقدمة:

يعد مفهوم المنهج من المفاهيم الجوهرية في منهجية البحث العلمي، لذلك يتعين توافره في أي بحث علمي وذلك لضمان السير في خط منظم والوصول إلى نتائج موثوق بها، وما التقدم الذي أحرزته علوم المادة إلا بسبب قدرتها على التعبير عن نتائجها بدقة وبفصاحة، وذلك في شكل معادلات رياضية محكمة أمدتها بالنتائج الدقيقة، التي افتقدتها علوم الإنسان فغدت في تأخر عنها.

ومن المهم الإشارة إلى أنه وإذا كانت هناك منهجية ومقدمات عامة للمعرفة تنطلق منها، فإن هناك مقدمات وكليات وقضايا منهجية خاصة في كل مجال من مجالاتها وعلى الباحث المتمرس أن يتبين هذه الخصوصيات ويرصدها حتى يميز ذلك المجال عن غيره ويتمكن بالتالي من الأداء وفق حاجاته فلا تختلط عليه القضايا ولا تتداخل الأدوار أو تضيع الجهود.

وتبعًا لما سبق كان لابد من أن نبرز هذا التميز والتدقيق في مجال التعامل مع البحث العلمي والمناهج منذ البداية وذلك حتى ينمو ويتطور بنمو عملية البحث والدراسة، كما أن تقديم طريقة البحث ومنهجيته في بدايته إنما هو عملية تكوين ومن جهة ثانية فهي خطاب عقلي لمن بلغ الشأن في هذا المجال وذلك طمعا في الوصول إلى ما نرتقي به سلم الأمم التي علت وتجاوزت الكثير.

أولًا: منطلق المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية:

١- تعريف المنهج:

أصل كلمة "Méthode" مأخوذ من الكلمة اللاتينية "Méthodes" المأخوذة بدورها من اليونانية، وقد استعملها أفلاطون بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة واستعملها أرسطو بمعنى بحث للكلمة عدة معان اصطلاحية لعل أهمها ما يلي: "الطريق الذي يؤدي إلى الهدف المقصود بعد التغلب على عقبات ومصاعب" (رجاء وحيد دويدري، ٢٠٠٠، ص١٢٨). ويوضحه التعريف الآتي:

" الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة" (صالح بن حمد العساف، ١٩٩٥،ص١٨٠).

٢- أهمية المنهج والحاجة إليه:

يعتبر التحكم في استخدام المناهج لمعالجة أي موضوع قدرة على التحكم في الطريق نحو الحقيقة العلمية أو النتائج العلمية التي تملك خاصيآ العلم وعلى رأسها القابلية للتعميم (مصباح عامر، ٢٠٠٨، ص٤٩) كما تزود دراسة مناهج البحث الدارس بالخبرات التي تمكنه من القراءة التحليلية الناقدة للبحوث وملخصاتها وتقويم نتائجها أو الحكم عما إذا كانت الأساليب المستخدمة في هذه البحوث تدفع إلى الثقة بنتائجها ومعدل الاستفادة منها في مجالات التطبيق (رجاء وحيد دويدري، ٢٠٠٢، ص١٣٠).

٣- الخلفية التاريخية والنظرية للمنهج:

قديمًا أعطت الفلسلفة أهمية أكبر- في دراستها- للذات العارفة غير أن خطأ النتائج وتناقض المعارف أدى إلى التفكير في ضبط شرائط هذه الذات وضبط وسائلها ونتج عن ذلك المنطق الذي يدرس شروط الفكر الصحيح حيث يعتبر أرسطو أول من وضع طريقة البحث العلمي. لكن المنطق نفسه عندما طغت عليه النزعة الصورية وراح يعالج قضاياه في ضوء قوانين الفكر المجردة ويستمد نتائجه من هذه التصورات عزل نفسه عن المعرفة التي كانت هدفه الأول وحتى وقت متأخر تحول النظر من قوالب المعرفة إلى المعرفة في حد ذاتها فطرحت مشكلة موضوع المعرفة بإلحاح، وأصبحت الحاجة لمعرفة الواقع معرفة صحيحة ملحة وضرورية، ونتج عن هذا الجدل بين الواقع والعقل وبين الذات والموضوع منطق جديد هو منطق العلوم أو مناهج العلوم.

وفي حقيقة الأمر لم تكن المعرفة التي وصل إليها الإنسان قديما مطابقة- دائما- للواقع مما طرح الإشكال التالي:

هل المعرفة العلمية تكتسب عن طريق الإحساس والإدراك المباشر أم أنه يجب بناؤها بواسطة وسائل خاصة؟ وفي هذا الصدد يقول جون ألمو " إن عالم العلم هو بناء، وطرق هذا البناء تكون المرحلة الأولى للعلم" فالمعرفة تبتدئ بوضع المناهج التي تستهل عملية البناء لهذه المعرفة ويشير هنا باشلار إلى أن بناء المعرفة العلمية بقدر ما يستند إلى منهج فإن هذا المنهج مبني على أسس (كتاب الفلسفة المدرسي ص ٩٥-٩٧).

فما هي هذه الأسس؟

- **الاتجاه الطبيعي والاتجاه الإنساني**: يشير تعدد المدارس النظرية في علم النفس إلى تعدد المذاهب ومناهج الدارسة وبصفة عامة يمكن أن نجملها في اتجاهين عامين، يتجه أولها إلى جعل علم النفس من علوم الطبيعة بينما يتجه ثانيها إلى جعله من علوم الإنسان.

أ- الاتجاه الطبيعي: يعزو أنصار هذا الاتجاه تأخر علم النفس إلى اعتماده فترة طويلة من الزمن على دراسة الظواهر غير المشاهدة وأن سر تقدم العلوم الطبيعية كون مادة دراستها يمكن إخضاعها للبحث وبسهولة، وعليه فهم يدعون أو يقومون بدراسة الوقائع النفسية كما لو كانت أشياء أو ظواهر من نفس نوع ظواهر الطبيعة وإغفال كل ما يحد من هذه الغاية، ويجسد هذا الاتجاه أنصار المدرسة السلوكية الذين يرون أن موضوع علم النفس يجب أن يقتصر على الناحية المادية للسلوك.

ب-الاتجاه الإنساني: يذهب إلى أن مادة علم النفس يجب أن تكون الحالات الحية والتجارب التي يعيشها الإنسان وأنها تختلف من حيث النوع عن المادة التي تعالجها العلوم الأخرى، فهو إذن يهتم بالنواحي غير الظاهرة من الشخصية وبصفة خاصة اللاشعور (الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ١٩٩٦، ص١٠).

ويتبع هذين الاتجاهين عددا من المناهج الأساسية، بحيث تميل المناهج التي تنتهج الاتجاه الطبيعي إلى الأخذ بالمنهج العلمي في العلوم الطبيعية متمثلا في المنهج التجريبي والمنهج الوصفي. أما الاتجاه الإنساني فيميل إلى استخدام المنهج الإكلينكي الذي يميل لدراسة الحالات الفردية (الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ١٩٩٦، ص١٥).

-المنهج الكمي والمنهج الكيفي:

نميز في بحوث العلوم الإنسانية بين تلك التي تهدف إلى قياس الظواهر عن تلك التي تسمح بأخذ معطيات كيفية لا يمكن قياسها أو عدها.

١- المناهج الكمية: تهدف هذه الأخيرة إلى قياس الظاهرة موضوع الدراسة، ونحن نستنجد بالمناهج الكمية أثناء محاولتنا معرفة أي ظاهرة لذلك فإن أغلبية البحوث في العلوم الإنسانية تستعمل القياس وذلك طلبا للموضوعية.

٢- المناهج الكيفية: وهي تهدف أساسا إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة وعليه ينصب الاهتمام هنا وبصفة أكثر على حصر معنى الأقوال التي جمعها أو السلوكات التي تمت ملاحظتها، لذلك يركز الباحث أكثر على دراسة الحالة أو عدد قليل من الأفراد (موريس أنجرس، ٢٠٠٦ ص١٠٠-١٠١).

ثانياً: المنهج الوصفي:

- تعريفه وطبيعته:

يعد اختلاف علماء المنهجية فيما بينهم حول هذا المفهوم عميقا وذلك بسبب عدم اتفاقهم أساسا على الهدف الذي يسعى لتحقيقه وهل هو مجرد وصف للظاهرة المدروسة؟ أم أنه يتجاوز الوصف إلى توضيح العلاقة ومقدارها، ومحاولة اكتشاف الأسباب الكامنة وراء الظاهرة. وقد أفضى هذا الاختلاف إلى اختلاف حول مجموعة المناهج المرتبطة بدراسة الظاهرة الحالية، فهل هي مناهج قائمة بذاتها أم أنها فروع له، والمخرج الموصى به أن كل منهج يرتبط بظاهرة معاصرة قصد وصفها وتفسيرها هو منهج وصفي. والذي يرتبط بالماضي فهو منهج تاريخي أما المنهج المرتبط بالتنبؤ للمستقبل فهو منهج تجريبي.

وبناء عليه يصبح المنهج الوصفي كإطار عام يشمل كل البحوث التي:

- تصف الظاهرة فقط (بحث مسحي استكشافي).
- توضح العلاقة ومقدارها (بحث ارتباطي)٠
- تهدف لاكتشاف الأسباب الكامنة وراء سلوك معين (بحث مقارن)؛ وذلك سواء أجريت في المكتبة بواسطة:
- دراسة الوثائق دراسة كيفية (البحث الوثائقي).
- دراسة الوثائق دراسة كمية (بحوث تحليل المستوى)؛ أو أجريت في الميدان بواسطة:
- الملاحظة ومعايشة الباحث للواقع (بحث حقلي- دراسة حالة).
- استجواب عينة من المجتمع الأصلي (بحث مسحي).

وسواء أجريت:

- مرة واحدة (بحث مستعرض)
- أكثر من مرة (بحث تتبعي) صالح بن حمد العساف، ١٩٩٥، ص ١٨٩-١٩٠).

وعليه يمكن تعريف المنهج الوصفي بأنه:

"يقوم.... على ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة والعوامل التي تتحكم فيها واستخلاص النتائج لتعميمها، ويتم ذلك وفق خطة بحثية معينة وذلك من خلال تجميع البيانات وتنظيمها وتحليلها، (مصباح عامر، ٢٠٠٨، ص٨٦).

- أهداف وأهمية المنهج الوصفي:

انطلاقا من التعريف السابق يمكن أن نتبين أهداف البحث الوصفي المتمثلة أساسا في دراسة الظروف أو الظواهر أو المواقف والعلاقات كما هي موجودة والحصول على وصف دقيق لها يساعد على تفسير المشكلات التي تتضمنها أو الإجابة على الأسئلة الخاصة بها. إضافة إلى توضيح العلاقة بين الظواهر تحليلها وتفسيرها (الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ١٩٩٦، ص ٣٢) ومن هنا يكتسي المنهج الوصفي أهميته في دراسة الموضوعات الاجتماعية حيث أن

استخدامه يوفر قدرا هائلا من المعلومات التي تكون شاملة للموضوعات من كل النواحي بما يجعل الباحث أكثر تحكما في بحثه. وهي تمثل قواعد أساسية لبناء وصياغة الفروض والمفاهيم والتصورات والإحاطة بالمتغيرات المختلفة كما يساهم في معالجة مشكلات المجتمع الواقعية (مصباح عامر، ٢٠٠٨، ص ٨٧-٨٨). والبحث الوصفي من الناحية المنهجية قد يعتبر ضعيفا أو فقيرا لأن الهدف النهائي له هو تفسير شيء ما، والوصف نشاط من أنشطة البحث له فائدة كبرى في تفهم مشكلات التفسير (محمد منير مرسي، ٢٠٠٣، ص ٢٥٧-٢٥٨).

- أسس المنهج الوصفي:

- استخدام كافة وسائل جمع البيانات بما يكفل تحقق الغرض من استخدام المنهج الوصفي وقياس الفرضيات.
- اختيار عينة ممثلة لمجتمع البحث بما يضمن عدم التحيز.
- تأخذ الدراسات الوصفية عدة أوجه للبحث والمعالجة، فمنها ما يكتفي بالوصف الكمي أو الكيفي للظاهرة، ومنها ما يتعدى إلى دراسة أسبابها والعلاقة بين المتغيرات.
- الصياغة التجديدية- للنتائج- القابلة للتعميم على الموضوعات والظواهر المشابهة في ميدان العلوم الاجتماعية (مصباح عامر، ٢٠٠٨، ص ٩٠).

خطوات المنهج الوصفي:

يخضع البحث الوصفي كغيره من المناهج لخطوات المنهج العلمي، فهو يبدأ بمشكلة معينة يشعر بها الباحث ويجد لها أهمية، ومن ثم يحاول البحث عن إجابة أو تفسير لها، وهو في سبيل ذلك قد يفترض عددا من الفروض أو يثير عددا من التساؤلات وذلك حسب درجة تحديده للمشكلة وحسب البيانات التي جمعها حولها، ثم يحاول الرد على الفروض التي أقامها أو الإجابة على التساؤلات التي أثارها، وذلك بجمع البيانات الخاصة بها مستخدما في ذلك الأدوات المناسبة التي تطبق على عينة من الأفراد تمثل المجتمع الأصلي للظاهرة موضوع الدراسة، ومن ثم يخضع نتائجه للتحليل الذي يساعده على توضيحها وتفسيرها. (الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ١٩٩٦، ص٣٣).

بعض الأخطاء الشائعة في تطبيق خطوات المنهج الوصفي:

يكون من المفيد جدًا تثمين الجانب النظري الذي قيل لحد الآن عن المنهج الوصفي، وذلك من خلال رصد بعض المعطيات من واقع ممارسة عملية البحث العلمي على مستوى الطلبة المبتدئين خاصة، وذلك أن الباحثة لاحظت شيوع بعض السلوكيات في البحث والتي سريعا ما تحولت إلى أفكار ومناهج يسير عليها غالبية الطلبة، ذلك أن بعض الخطوات الأساسية للبحث قد علق بها قدر من الشوائب ربما بسبب ما خالط ذهن الطلبة من أفكار ومعارف شائعة.

ولعل من أهم مظاهرها نذكر ما يلي:

أ- مظاهرها: تتعلق مظاهر الأخطاء التي نود الإشارة إليها بصفة خاصة في العناصر التالية:

- الإخلال بدور الفرضيات في البحث.
- الخلط بين منهج البحث وغيره من المفاهيم (الأدوات....)

- قصور أهداف الدراسة الاستطلاعية.
- إهمال دور الدراسات السابقة.
- النمطية في دراسة الموضوعات.

ونعرضها تباعا كما يلي:

أ-١- الإخلال بدور الفرضيات في البحث: تعد عملية وضع أو صياغة الفروض في البحث العلمي خاصية هامة لا يمتلكها إلا الباحث المتمرس الملم بجوانب موضوعه، والمدقق لمختلف جوانبه، ومن هنا تكمن صعوبتها، ومن جهة أخرى، وعلى اعتبار أن الفرضية جواب محتمل فإنما تكون مبنية على معلومات تعزز هذا الاحتمال، بمعنى أن ميل الباحث إلى نوع من الاتجاه الذي تأخذه الفرضية لا ينبغي أن يكون اختيارا عشوائيا بل اختيار له قاعدة نظرية أو معرفية أو تطبيقية...، أما في حالة تعذر تشكيل هذه الجوانب بحيث يجد الباحث نفسه أمام موضوع لم يدرس بالشكل الكافي الذي يسمح له بصياغة فرضياته أو يصعب عليه التوقع باتجاه الحل فيستعين أو يلجأ إلى سؤال البحث والذي هو شكل آخر للتعبير عن المشكل (محمد مزيان، ١٩٩٩، ص١٣).

وبصفة عامة نقول أن أهمية استخدام الفروض تكمن في هدف البحث، فإذا كان البحث يهدف إلى الوصول إلى حقائق ومعارف فلا قيمة للفرضيات، أما إذا كان يهدف إلى تفسير الحقائق والكشف عن الأسباب والعوامل وتحليل الظاهرة المدروسة فلابد من وجود فرضيات. (عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات، ١٩٩٩،ص ٤٨)، لكن الملاحظة التي يطلعنا بها الميدان هو اللجوء إلى وضع الفروض في كل الحالات حتى ليتسبب ذلك للباحث –من حيث لا يدري- في مصاعب أخرى كندرة الدراسات السابقة، والتي قد لا يتمكن من الاطلاع عليها وذلك خطأ تال نشير إليه لاحقا، عدا عن العجز في تفسير النتائج أو طرح مشكل البحث بشكل واضح ودقيق.

هذا ومن جهة أخرى يشدد بعض المشرفين على طرح مفاده أنه لابد للطالب المبتدئ الالتزام بالمنهجية العامة وتصميم بحثه في الإطار بحيث يتضمن عمله صياغة فروض بغض النظر عما سبق ذكره وذلك بهدف تعويده خطوات البحث العلمي، ولكننا نقول ألسنا بذلك قد أوقعنا أنفسنا في جدل يكشف عنه الواقع، حيث لم يعد بعض الطلبة يفرقون بين منهج وغيره أو بين متطلبات هذه الدراسة وغيرها، وعليه ينبغي الرجوع إلى أصل المسألة وهو أنه في الدراسات المسحية أو الاستكشافية لا تستخدم الفرضيات أما الدراسات المتعمقة أو التي تتناول متغيرات واضحة فلابد منها.

أ-٢- الخلط بين منهج البحث وغيره من المفاهيم (الأدوات، نمط البحث...):

جرت الممارسة أن نستعمل الطريقة للتعبير عن المنهج وقد يحدث العكس، ومما زاد الأمر تشويشا هو اعتبار بعض التقنيات أو الأدوات مثل الملاحظة والاستبيان والمقابلة طرقا أو منهج (كدراسة الحالة مثلا)، ولعل هذا الإشكال مازال مطروحا بوضوح في أعمال بعض المشتغلين بالبحث العلمي خاصة في الكتب العربية والسبب إنما خلقته الترجمة أساسا،

وفي توضيح الفرق بين المنهج والطريقة والتقنية (الأداة) يذكر أن المنهج هو الإجابة على السؤال بم يحقق الباحث هدفه؟ أما الأداة فهي الإجابة على السؤال بم يحقق الكاتب هدفه؟ أما الطريقة فهي وسط بينهما.

وقد اعتبر عبد المعطي عبد الباسط أن الأدوات تتركز مهمتها في جمع البيانات عن جوانب ومواقف وهي بذلك أصغر دائرة من إجراءات البحث، أما الطريقة فهي التي تنظم عمل الأدوات وتنسق بينها وتوصل بياناتها إلى المنهج، كما أن طبيعة الدراسة قد تشير إلى نوع الطريقة أو الأداة المستخدمة، فمثلا قد تكون الدراسة كشفية والمنهج وصفي أو الدراسة مقارنة والمنهج وصفي أيضا. لكن في هاتين الحالتين الفارق أن الأولى لا تحتمل فروضًا بينما الثانية تعتبر الفروض من مقوماتها الأساسية (محمد مزيان، ١٩٩٩، ص١٣).

أ-٣- قصور أهداف الدراسة الاستطلاعية:

سبق الذكر أن المنهج الوصفي يعتمد أساسا على جمع أكبر قدر من المعلومات (النظرية والميدانية)، وذلك راجع أساسا إلى طبيعة المنهج وموضوعاته، ولعل الوسيلة المستعملة هنا هي الدراسة الاستطلاعية التي هي بمثابة تحضير نظري وميداني للظاهرة المراد دراستها وذلك بالاطلاع على ميدان الدراسة وتفحص متطلباته، كذا بالقراءات المتعددة عن الموضوع. لذلك فإنها تحقق للباحث عدة أهداف أهمها:

- تعميق المعرفة بالموضوع.
- تحديد ميدان الدراسة.
- التأكد من صلاحية أدوات الدراسة.
- وضع خطة مبدئية للبحث.
- التعرف على أهم الصعوبات والعراقيل (إبراهيم وجيه محمود و محمود عبد الحليم منسي، ١٩٨٣،، ص ٨٩-٩٠)؛ لكن ما شاع بين غالبية الطلبة هو القيام بدراسة استطلاعية حصرا للتأكد من صلاحية أدوات الدراسة، وذلك قد يكون بسبب عدم توفر الاختبارات المقننة، وإغفال غيرها من الأدوات، لكن كما أن الأداة هامة فكذلك تخصيص حيز زمني لضبط المشكلة أو غيرها من الأهداف السابقة هو من الأهمية بمكان، إذ كيف ننطلق في عمل دون التأسيس الجيد له أو عدم فهم الطريق المؤدي إليه وإدراكه إدراكا سليما.

أ-٤- النمطية في دراسة الموضوعات:

من خلال ما سبق من عناصر يفترض بالباحث ولدى مراجعته للدراسات السابقة خلال الدراسات الاستطلاعية وطوال البحث أن يتبين مناهج وطرق البحث حتى يستنتج من خلالها الأنسب لدراسة موضوعه الحالي بما يتوافق ومتطلباته، وعدم تكرار نفس المناهج السالفة لئلا يصل إلى نفس النقطة التي انتهى إليها غيره فلا تتراوح العملية مكانها، لكن الملاحظ أن الطلبة يفضلون التقيد بنفس الإجراءات والخطوات مما يولد نمطية في العمل تجعل البحث يفقد مضمونه وحيويته.

أ-٥- إهمال دور الدراسات السابقة:

الباحث الناجح هو الذي يبدأ من حيث انتهى إليه الآخرون، حيث تتشكل لديه معارف وافرة تؤهله للتحكم في موضوعه، حيث تعبر الدراسات السابقة عن جهود الباحثين في التخصص في دراسة الظاهرة موضوع البحث ويحقق اطلاع الباحث عليها هدفين رئيسيين هما:

١- هدف رئيسي: يتمثل في التأكد من أن مشكلة بحثه لم تدرس من قبل فهو قد ابتدأ من حيث انتهى إليه الآخرون.

٢- هدف فرعي: فقد حدد بورق وقول خمسة أهداف تحقق من مراجعة الدراسات السابقة وهي:

- تحديد مشكلة البحث والوقوف على مجموعة تساؤلات.
- كرق جوانب جديدة في البحث.
- التبصر بطرق البحث وكيفية معالجة بحثه.
- تجنب النمطية في البحث بوضع تصميم جديد لبحثه الحالي.

الاستفادة من توصيات الباحث وذلك بتحديد أفضل الأدوات والأساليب والمناهج لدراسته الحالية (صالح بن حمد العساف، ١٩٩٥، ص٦٨). إلا أنه ثلة من الطلبة لازالوا يعتقدون أن المهم هو الإشارة إلى الدراسات السابقة، ولكن الأصل كما سبق أن لها أهدافا، وإدراجها ضمن العمل يتعدى إلى توضيح أهداف الباحث أو تعزيزها، فمتى ما وردت فكرة أو محور أو جانب من الموضوع يتطلب تدعيما أو إشارة إلى جهد سابق. أو المقارنة بينها نستعين بذلك، وهو مما يجنبنا النمطية في البحث. فالإلمام بالدراسات السابقة وفهمها يعني استغلالها وليس السير على نفس الطرق السابقة فحسب.

ب- مصادر الأخطاء الشائعة:

للقصور السابق في تناول خطوات المنهج الوصفي المنظمة أصلا أسباب ومصادر لعل أهمها:

ب-١- عدم تقنين المنهجية العامة للبحث وفق دليل موحد:

يعتبر وجود دليل مصادق عليه من الهيئة العلمية المشرفة على البحث عملا هادفا إلى ضبط وتوحيد طريقة العمل، مما يبعد الباحثين من الوقوع في مزالق قد تكون هينة وتجنبهم التقصير، أو النقد المقر بوجود وجهات نظر خاصة لكل مؤطر.

ب-٢- وجود اختلافات منهجية:

لكل منا تصورات واعتقادات حول جوانب البحث ومنهجيته، ولقد شعر الطلبة بذلك وبشدة، لذلك تجدهم يتراوحون بين فكرة وأخرى أملا في إرضاء أكبر قدر من المناقشين متناسين بعد الفكرة ومغزاها.

ب-٣- وجود بعض الأفكار المسبقة:

من الحقائق التي نواجهها كثيرًا وتنعكس علينا آثارها بالفائدة حينا وبالأذى أحيانا أخرى، هي أن تجد لدى الآخر فكرة عن الموضوع (وهي هنا المنهج) المعالج، تكونت في ذهنه بصورة لا يمكن غالبا تتبع بدايتها ولا تطورها ولا مصدرها،

أما عن فائدتها المباشرة فهي أنها تيسر الحديث أو العمل أو التواصل بين الأشخاص وهو ما ينطبق على إجراءات البحث أو منهجيته.

ولعل أبرز أضرارها أنها تعوق الذهن عن إدراك ما هو جديد فيما يقدم إليه وهنا الثغرة التي تنفذ منها الأفكار المسبقة لتتوهم كأفكار و تصورات.

ووقوع الضرر مرهون بشروط وهي:

- أن تكون عملية البحث في أولها.
- أن تكون الخصائص الطبيعية للشيء المدرك (وهو المنهج هنا) غير واضحة بقدر كاف (حيث لم نؤصل لجذور المنهج الوصفي).
- أن تكون شخصية المدرك متصلبة غير مرنة.

ولكن مع النظر والتأمل في الأمر فإن مقدار الضرر سيتضاءل بشكل ملحوظ.

خاتمة:

ارتبط المنهج الوصفي منذ نشأته بدراسة الظواهر المتعلقة بالمجالات الإنسانية والاجتماعية، وهو لا يزال كذلك لصعوبة تطبيق المنهج التجريبي على كل الظواهر. لذلك نذكر في نهاية هذا العمل أن ما توصلنا إليه في مجال البحث العلمي ودراسة المناهج إنما هو ثمرة جهود ومسيرة علماء وواجبنا هو المحافظة عليه والعمل على تطويره وذلك بتبسيط مفاهيمه وتوضيح أسسه ومنطلقاته النظرية خاصة، ومن ثم التشجيع على التجديد والابتكار في التعامل مع المنهج الوصفي بدل التقليد والسير في خط النمطية والتلقائية أو اجترار الأفكار غير السليمة منطقيا.

قائمة المراجع:

- إبراهيم وجيه محمود ومحمود عبد الحليم منسي (١٩٨٣) البحوث النفسية والتربوية. دار المعارف.
- الشيخ كامل محمد محمد عويضة (١٩٩٦)، دراسة علمية بين علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى، سلسلة علم النفس ، ط(٠١)، دار الكتب العلمية. بيروت– لبنان.
- رجاء وحيد دويدري (٢٠٠٢). البحث العلمي "أساسياته النظرية وممارساته العملية"، ط (٠٢)، دار الفكر المعاصر بيروت– لبنان. دار الفكر، دمشق– سوريا.
- صالح بن حمد العساف (١٩٩٥)، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، سلسلة البحث في العلوم السلوكية. ط (٠١)، مكتبة العبيكان.
- عامر مصباح (٢٠٠٨)، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام. سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات (١٩٩٩)، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط(٠٢)، ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر.

- محمد مزيان (١٩٩٩)، مبادئ في البحث النفسي والتربوي، ط(٠١)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر.
- محمد محنير مرسي (٢٠٠٣)، البحث التربوي وكيف نفهمه، عالم الكتب.
- موريس أنجرس (٢٠٠٤/٢٠٠٦)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية "تدريبات عملية". ترجمة بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون إشراف ومراجعة مصطفى ماضي. دار القصبة للنشر و التوزيع.
- الفلسفة لطلاب البكالوريا السنة ثالثة ثانوي- الفرع الأدبي ج٠٢ . المنهج التربوي الوطني- الجزائر.